15em Année No. 728

Lundi — 12 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٢ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

لوازم الحـــديث

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان الحديث عن آقاك الأرمنى الذى قيل إنه طبيب روحانى يشفى الأمراض المستعصية ويلمس المريض مرة أو مرتين فينهض سليما معافى .

وكان المتحدث رجلا يصدق من الغرائب والمفارقات بمقدار ما فيها من مفاجأة الناس ومصادمتهم بالمستبعد المستغرب من الأمور ... له فى الحديث لازمة هى كلمة « لا » النافية . يقولها عشرين أو ثلاثين مرة فى الجلسة الواحدة ، ويقولها لمن يوافقه ومن يعارضه ، ولمن يقبل كلامه على علاته ومن يرفضه « على طول الخط » كما يقولون . ويخيل إليك وأنت تستمع إلى حديثه أنه يفضل إنكارك كلامه على موافقتك وتأمينك . لأن الإنكار يفتح له باب الجدل والاستمتاع بتلك الكلمة المحبوبة لديه ، البغيضة إلى الناس أجمعين ، وهى كلمة « لا » النافية ومرادفاتها فى اللغة العربية .

قال : إن آقاك شفى مشلولا كسيحا لاينهض على قدميه .

قالها والتفت إلىّ متوقعاً أن أنكر منه هذا الخبر ، وأجزم باستحالته أو استبعاده .

فخيبت ظنه وقلت : يحصل . نعم يحصل وقد حصل فى الزمن القديم وفى هذا الزمن . وقد حصل على أيدى الأطباء الذين لا يتحلون لأنفسهم قدرة روحانية ولا كرامة من كرامات الأولياء . وحصل فى عهد العباسيين قبل هذا العهد الحاضر الذى عرف الناس فيه علم العلاج النفسانى وسلكوه فى عداد العلوم الطبيعية . وذكرت قصة الجارية التى كان الرشيد يحبها فرفعت يدها ذات يوم فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ، وعولجت بالتمريخ والدهن فلم ترجع يدها إلى حركتها . فلما استدعى ابن بختيشوع لعلاجها قال للرشيد : إن لم يسخط علىّ أمير المؤمنين فلها عندى حيلة : تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده فأمر الرشيد بالجارية فأحضرت ، وأسرع إليها الطبيب وأوثق يدها الطليقة وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها . فانزعجت الجارية وبسطت يدها المعتقلة إلى أسفل . وكان ذلك شفاءها .

هذا وأشباهه جائز فى الطب مشاهد فى الواقع ، والمعول فيه على استفزاز القوى الحيوانية من طريق المؤثرات النفسانية . فإذا كان آقاك يملك القدرة على استفزاز هذه القوى فى نفوس معتقديه فلا مانع عقلا أن يشفى بعض الأمراض بهذا النحو من العلاج .

وليس المهم فى مقالنا هذا هو حديث آقاك الأرمنى وإن كان حديثه ليجرى الآن على كل لسان . وإنما المهم « لا النافية » على لسان صاحبنا الذى آمن بآقاك ليقولها ويسمعها من سامعيه ! .. فقد ظننت أننى أخذت عليه الطريق وانتزعت هذه الكلمة من بين شدقيه . فإذا هى والله أول كلمة علق بها على هذه

القصة ، وإذا به يفتح فاه ليقول : لا . ليس هذا قصدى ...

قلت : لا بل ينبغى أن يكون هذا قصدك . ماذا تعنى أيها الرجل « بلا » هذه التى تفجأ بها الناس موافقين أو مخالفين ؟ قلت إن آفاك يشفى المرضى فقلنا لك : يحصل . فأين موضع « لا » هنا لا حرمك الله سماعها من كل لسان ؟

فانقبض واستخزى . وكانت عنده بقية أدب فى الخطاب فقال معتذراً : والله إنها لازمة . ولازمة ذميمة والحق يقال . ولكن ما العمل فى العادة وسيئاتها قبحها الله !

وخطرت لى لوازم الكلام عند أكثر المتحدثين ؛ فسألت نفسى : أيها يا ترى خير وأفضل . « لا » هذه التى تقال فى كل جواب ؟ أو « نعم » ومرادفاتها التى تعود بعض الناس أن يعقبوا بها على النقيضين فى مجلس واحد ؟

— حبذا لو خلت مصر من الأحزاب .

— صحيح .

— ولكن الأحزاب ضرورية فى الأمم الديمقراطية .

— صحيح والله !

— إلا أن الديمقراطية قد تستغنى عنها فى بعض أوقات التطور والانتقال .

— معك حق . فهذا صحيح .

فكم من المتحدثين يستمع إلى أمثال هذا التعقيب فى كل يوم وبين كل طائفة من الناس ؟ وكم تسوءهم هذه الموافقات وهم ينتظرون الشجاعة الأدبية من ذوى الرأى فلا يرون بينهم وبين الجهلاء الإمعات من خلاف ؟

إن كانت هناك « نعم » شر من « لا » فهذه النعم شر من جميع اللاءات وجميع أدوات النفى على الإطلاق .

ومن اللوازم ما هو أعجب من الموافقة والإنكار على هذا النوال ؛ لأنها لازمة تلقى على المستمع تهمة لا ذنب له فيها ولا مناص له من دفعها .

تلك هى لازمة « على رأيك » عند بعض الناس .

يحدثك عن رجل لا تعرفه ولعلك لم تذكره قط فى حياتك ، فإذا به يقول : « على رأيك إنه رجل لئيم » ... ويمضى فى تحميل رأيك المظلوم تبعات هجائه وإتحافه وأنت لم تر شيئا مما اتهمك برؤيته ، ولم يفكر هو بعقله فى إسناد التهمة إليك وإنما جرت التهمة « البريئة » على لسانه من حيث لا يريد .

وحضرت مجلساً فيه واحد من أصحاب هذه اللازمة وهم غير قليلين . فصرخ أحد السامعين الذين اتجه إليهم الحديث مستغيثاً :

يا شيخ حرام عليك ! متى وصفت الرجل بهذه الصفات أوهل هو رأيك أو رأيى الذى تحكيه وترويه ؟

وضحك صاحبنا وكان ظريفاً حسن التخلص . فراح يقول : هو التواضع يا فلان . هو التواضع . وهل يليق بأدب الحديث أن أقول : هذا رأيى ! هذا رأيى ! فى كل ما أرويه وأحكيه ؟

ومن اللوازم ما يبعث الضحك ولا يبعث الفزع كهذه اللازمة التى يلازمها الاتهام ، بل قد يضحك الحزين إذا غلبت عنده روح الفكاهة على روح الجد والصرامة .

من هذه اللوازم لازمة كانت لأحد القضاة المشهورين يرددها وهو ذاهل عما يسمع وذاهل عما يعنيه . وهى لازمة « براڤو براڤو » التى يتخلص بها من التفكير فيما يقول .

واتى شاباً كان يعرف أباه فسأله : أين أنت الآن ؟ قال : موظف فى هذا الديوان ...

قال : براڤو براڤو . وأين أبوك ؟

قال : تعيش ... مات منذ شهور .

فلم يلبث أن حيا أباه تحية الاستحسان المعهودة . لأنه مات !

لكن اللازمة البغيضة حقاً تلك اللازمة التى تضطرك إلى الجواب على كل فقرة من فقرات الحديث كأنك فى محضر تحقيق

— أخذت بالك ؟ « فاهمنى ؟ » .

ولا بد من الجواب ، ولا بد من انتظاره جواباً ملفوظاً لا يغنى عنه الإيماء ولا السكوت .

ومن هؤلاء من يبدى لك الرأى ثم يسألك :

هل أنا غلطان ؟

فتقول مثلا : معاذ الله . بل أنت على صواب .

فلا يكتفى بذلك ويعود سائلا : إن كنت غلطان قل لى . هل أنا غلطان بالله ؟

— لا لست بغلطان .